



لماذا تقع كل المصائب في ديار المسلمين؟

المحاضرات

الحلقة الثانية عشرة

2021-06-12

سألني سائل: لماذا تقع كل المصائب في عالمنا الإسلامي وفي ديارنا نحن _ المسلمين _ بينما الشعوب النصارى عن الله تنعم بالأمن والاستقرار! حسناً سأجيبك...

المصائب في بلاد غير المسلمين:

أولاً: هناك في بلاد غير المسلمين مصائب كثيرة، ليس شيوخ المخدرات مصيبة! ليس التفكك الأسري مصيبة! ليست نسب الإجهاد العالية مصيبة؟ ليس التحرش بالنساء مصيبة؟ ليست العنصرية مصيبة! ثم ليس في بلادهم كوارث وفيضانات وحرائق!

نعم... قد تختلف مصائبنا عن مصائبهم، ومشكلاتنا عن مشكلاتهم، ولو أننا أوزنا بين مشكلاتنا ومشكلاتهم بميزان الشرع ومع استحضر الآخرة وعدم الاكتفاء بالدنيا فسنصل غالباً إلى أن مشكلاتهم أشد وأعظم خطراً، وأنا هنا لا أهون من حجم مشكلاتنا، ولكنها الحقيقة.

يمكن أن نقول: إن العالم الغربي البعيد عن الله عموماً استطاع بعد عقود من الحروب الدامية أن ينعم ببعض الاستقرار الظاهري بحكم قوة القانون، وبحكم التوافق على عقد بين الحاكم والمحكوم ينظم العلاقة بينهما إلى حد ما، لكن القول بأنه ينعم بالاستقرار الحقيقي وأنه لا يعاني من المشكلات قولٌ مجافٍ للحقيقة، ينكره مثقفو الغرب أنفسهم.

سنن الله لا تحابي أحداً:

ثانياً: إن لله تعالى سنناً، وسنن الله لا تحابي أحداً، والله تعالى ليس له سننٌ واحدة في التعامل مع جميع عباده، وإنما سننٌ للمحسن سنة، وللمسيء سنة أخرى، وسننٌ للصالح سنة، وللمفسد سنة أخرى، وكذلك في تعامله جل جلاله مع الأمم والشعوب هناك سنن مختلفة.

إن سنة الله تعالى في الدنيا عموماً جاءت في قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَذْجُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19) كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْطُورًا (20) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا

(سورة الإسراء)

تصنيف البشر في الدنيا:

هذه الآيات تبيّن سُنّة الله في الدنيا ، وتصنف البشر في الدنيا وتضع سنناً لهم:

الصف الأول: أراد الدنيا وحدها ، وعمل لها ، وأعرض عن الآخرة ، وسنة الله تعالى فيه أنه يعطيه ما يريد من الدنيا ثم يكون مصيره جهنم.

الصف الثاني: أراد الآخرة وسعى لها السعي الذي يليق بها، فالله تعالى يشكر له سعيه هذا ويثيبه عليه ويعطيه في الآخرة ما سعى له.

لكن... عطاء الدنيا لن يتوقف عن أراد الدنيا ولا عن أراد الآخرة فمن سنن الله تعالى أن عطاء الدنيا للجميع، وأنه لم يحظر عطاءه على فئة دون أخرى ولا عن أمة دون أمة. إن من أعرضوا عن الله وعن منهجه إعراضاً كلياً واتجهوا إلى الدنيا وجعلوها منتهى الآمال ومحط الرحال وأكبر الهمّ ومبلى العلم، فهؤلاء من سنة الله تعالى أن تفتح لهم الدنيا من كل أبوابها، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا تَسَاءَلُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)

(سورة الأنعام)

إنها أبواب وليس باباً واحداً، وهي أبواب كل شيء لا أبواب شيء واحد!

السنة الخاصة بأهل الإيمان:

أما السنة الخاصة بأهل الإيمان؛ الذين أعلنوا انتماءهم لهذا الدين ولكنهم لم يلتزموا منهجه ولم يستجيبوا لربه فمهم من أمة التبليغ، لكنهم ليسوا من أمة الاستجابة فهؤلاء لهم سنة في كتاب الله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَنذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْآثَمِ الَّذِي أَكْثَرَ لَعَنَهُمُ لَعَنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَأَ كُفْرًا (21)

(سورة السجدة)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها، وما يحل بأهلها مما يبئلي الله به عباده ليتوبوا إليه.

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10)

(سورة الأنبياء)

قال ابن عباس - رضي الله عنهما- في تفسير هذه الآية: فيه ذكركم أي فيه شرفكم، فهذه الأمة لا تستمد الشرف والعزة إلا من استمسكها بأحكام الإسلام.

حَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى السَّامِ وَمَعَهُ أَبُو عُيَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَأَتَوْا عَلَى مَخَاصِي (بركة ماء) وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَتَرَلَّ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَيْبٍ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقَيْهِ، وَأَخَذَ بِرِجَامٍ تَافِيهِ فِخَاضٌ بِهَا الْمَخَاضَةُ، فَقَالَ أَبُو عُيَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا، تَخْلَعُ خُفَيْبَكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقَيْكَ، وَتَأْخُذُ بِرِجَامٍ تَافِيكِ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسْتُرُنِي إِلاَّ أَهْلَ الْبَلَدِ أَسْبِيئُ فُؤُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ: «أَوْهَ لَمْ يَفْعَلْ دَا عَيْرُكَ أَمَا عُيَيْدَةُ جَعَلَنِي تَكَالًا لِأُمَّةٍ مُحَمَّمٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّتْنَا اللَّهُ بِالإِسْلَامِ فَمَهْمَا تَطَلَّبُ الْعِزَّةَ يَغْيِرُ مَا أَعَزَّتْنَا اللَّهُ بِهِ أَدَلَّتْنَا اللَّهُ.

فعمر - رضي الله عنه - كشف لنا بكلماته عن حقيقة الارتباط بين حال الأمة عزاً ودلاً، مع موقفها من الشريعة إقبالاً وإدباراً، فما عزت في يوم بغير دين الله، ولا ذلت في يوم إلا بالانحراف عنه.

الملخص:

إذا أيها الكرام: لا تخلطوا بين قانون الشاردين وقانون المؤمنين المقصرين ولا تقولوا: هم شاردون أكثر منا ومع ذلك الله يرزقهم، فلهم قانون ولنا قانون، وللدنيا قانون وللآخرة قانون، وقانوننا أنه لا يمكن أن تكون لنا العزة والمنعة والرفعة على مستوى الأمة إلا من خلال العودة إلى ديننا والتمسك بقرآنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم.